كنيسة انطاكية على عهد الرسل

بحث تاريخي بقلم الخوري بولس سلمان

إن كان المرء يتفاخر باوطانه وما تحلّت به من سهول فسيحة الاطراف، وهضاب مخضرّة الاكناف، وما يتدفّق في جوانبها من الجداول والانهار، ويرتفع في مناكبها من الجنّات الملتفّة الاشجار، ويتباهى بما حازته تلك الربوعُ من ابطال أتوا برفيع الاعمال وسنيّ النعال، ممّا خلّد لهم ذكرًا على تمادي الاجيال، ويعتزّ برجال العلم والفضل الذين شادوا البلاد ورفعوها الى ذرى العلوم والمعارف، ويُشرقُ محيّاه ابتسامًا لرؤية ذاك العَلَم المتسايل مع النسيم الرفرف فوق الأمّة بساطع الوانه، فلقد يحقّ لنا ان نهتزّ طربًا لذكر وطننا الروحي ومهد ايماننا الذي أُقيم فيه عرشُ بطاركتنا في الدهر الغابر ينتمون باسمه وينتسبون اليه الى عهدنا الحاضر. ألا وهي كنيسة انطاكية الكبرى

وكم من رجال سطّروا مآثر كيانهم واطنبوا في مديحها ونشروا تاريخها. فاذا اردنا بذكر آثار كنيسة انطاكية التي وطئت اعرافَ المجد والفخر وتوقّلت في معارج الحضارة والعمران حيناً طويلًا من الدهر فأنشأتْ قرماً من الابطال لا يحصى لهم عددٌ، وكأنّ الجيل الاول للمسيح يتمثّل امامنا ويحيي في خاطرنا ذكر احبارها ورؤسائها وقديسيها وشهدائها الذين توّجوا ناصيتها بتاج العزّ والشرف. ثم تعاقبت عليها الايام فانحطّت عن منزلتها الاولى لما حدث فيها من افتراق الكلمة وتنازع الآراء في الدين ممّا دفع بها الى هوّة الخراب والبوار ولم يبقَ من مفاخرها القديمة الّا بعض ذكر. واذا احببنا ان ننشر في مقالتنا تاريخ الخمس والعشرين سنة الاولى من نشأتها واتّساع مجالها ما بين اليهود والوثنيين، وتُبيّنَ ما كانت عليه مدينةُ انطاكية من حسن موقعها وانحطاط الآداب فيها بين عبدة الاصنام وندوّنَ شيئاً عن حالة اليهود الساكنين فيها وكيف دخل الدين المسيحي فيها وغيّر الاهلين برفيع تعاليمه وسامي نواميسه وما طرأ عليه من المصاعب والاضطهادات الى ان استتبّ له الامر وانفرد المؤمنون عن المجامع اليهودية وأذعنوا لرئيس واحد يدبّر شؤونهم

ولا يخفى على المطالع اللبيب ما يحتاط ذاك الجيل من الظلمات الدامسة مما يُخشى العثور فيها لقلة الآثار التاريخيَّة الباقية من ذاك العهد على انَّا دفعاً للوهم والضلال سِرْنا على مصباح الكتاب الوهّاج واتخذنا دليلاً لنا من مشاهير المؤرخين الذين احاطوا باسرار التاريخ القديم وتبحّروا فيما كانت عليهِ القرون الاولى فعُدُّوا من نخبة الكتبة لما هم عليهِ من قرب المورد وغزير المادَّة وطول الباع. فضلاً عن انَّا استعنَّا بما نقله علماء عصرنا عن انطاكية الماضية وآثارها الغابرة مما يضمن لنا الهدى ويكفل لنا رضى اهل العلم ومحبّي التاريخ فنقول:

ان من تصفَّح تاريخ الكنيسة منذ نشأتها واستقصى ما انزلهُ الله في كتابه من الآيات العجيبة. وصنَّفهُ غيره من المؤرخين الكنسيين رأى انها لم تطوِ مراحل السنين والتقدُّم الَّا بعد ان توالت عليها الاضطهادات اعواماً مديدة سالت في اثنائها دماء الشهداء المجيدين. دماء ارتفعتْ نفحات عرفها كالاريج الذكي امام عرش العلي. دماء سَمَتْ بالنفوس الى ذرى الكمال واقامت على الارض كنائس عظيمة حتى اجاد ترتليانوس حين قال: «ان دم الشهداء هو زرع المسيحيين». ولا عجب في ذلك فان المخلص قد انبأ ان الاحزان والاضطهادات ستكون من بيّنات الكنيسة وادلَّتها. كما صرَّح عن نفسهِ بانهُ بالصليب يجاب الكل اليهِ. فان دم زعيم الشهداء استفانوس العظيم قد هُدِرَ بُغضاً وحسداً فردَّ الى المسيح رسولَ الامم بولس الرسول. جرى فكان كمطر غزير سقى جناناً بعيدة وأنمى كنيسةً ستصير اكبر الكنائس واغناها واوفرها قداسةً واسماها ألا وهي كنيسة انطاكية

في نشأة كنيسة انطاكية

لمَّا اكفهرَّ جوّ الكنيسة الاورشليميَّة وقام الرؤساء من اليهود يضطهدون الاخوة (١ رفع المؤمنون ابصارهم الى العلاء وعاينوا السماء تفتحها السحب السوداء

---

١) وكان من عداد اولئك المضطهدين رئيس الكهنة والصدوقيون الذين لم يذعنوا لكلام البشير وفي مقدمتهم تلميذ شاول الطرسوسي. ولم يترك الرسل اورشليم وهي على تلك الحال بل لبثوا فيها يشددون المؤمنين ويقوّونهم على احتمال الالام بصبر الى ان مرَّت سنة الثانية والثلاثون سنة الاضطهاد ولذا قال الكتاب تبدد الجميع ما عدا الرسل

وكأنهم رأوا بين تلك الغيوم يداً بيضاء. قد بدت تدعوهم الى غير تلك البلاد وكأنَّ صوتاً ارتفع في ذاك الفضاء يقول: «الى انطاكية الى انطاكية» فهرب البعض منهم تبعاً لكلام المسيح صاعدين نحو الشمال (١ فألفوا امامهم بلاد الجليل وقد فتحت لهم ساعد القبول وسجبت فوقهم اكناف حماها الواسع الاطراف. ونزل غيرهم الى فينيقية وخاضوا عباب البحر الى قبرس وأما انتهى غيرهم الى ضفاف العاصي حاملين التعاليم الالهيَّة والانوار الخلاصيَّة قادهم النهر بين الحدائق والجنَّات الى امّ المدن الشرقيَّة الى انطاكية فادت هياكلها امام اولئك المرسلين الحقيرين. فلم يدخلوها كالفاتحين بسيوف لامعة وجنود وافرة. لم ينزلوا بها بطرف الفلاسفة وحكمة ارباب العلوم بأبَّهة وإجلال. لم يتقدَّمهم الطلبة كأصحاب الترسُّل والانشاء. لم يطأوها بأعلام مزخرفة واناشيد مطربة بل دخلوا اليها كما علَّمهم السيد لهُ المجد بلا عصاة ولا همیان ولا فضة ولا ذهب. قال صاحب الاعمال: «وكان الذين تبدَّدوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب استفانوس قد اجتازوا الى فينيقية وقبرس وانطاكية وهم لا يكلِّمون احداً بالكلمة الَّا اليهود ولكن قوماً كانوا قبرسيين وقيروانيين فهؤلاء لمَّا قدموا انطاكية اخذوا يكلِّمون اليونانيين مبشِّرين للرب يسوع وكانت يد الرب معهم» (٢

ومما ينجلي من الكتاب المقدَّس ان القديس بطرس لم يكن دليلاً وقائداً لهؤلاء المرسلين الذين اتوا مدينة انطاكية اذ انهُ لبث في اورشليم يسكِّن روع التلاميذ الى ان اصبحوا آمنين من الاضطهادات ثم رحل الى انطاكية وقضى فيها الايام الطوال يثبِّت المؤمنين ويشدِّدهم ويؤسِّسهم على العقائد الراسخة. واقام في اثناء ذلك الشيوخ والعلماء ومنحهم السلطة لاقامة الكنيسة وتكميل الناقص ورفع تلك الكنيسة على ارسخ البنيان. وان لم نجد ذلك في الكتاب الكريم فان التقليد الشرقيّ والغربيّ يؤيد رأينا ويؤكد ان القديس بطرس لبث في انطاكية حيناً من الدهر يبشِّر فيها ثمَّ جعلها بعد توالي الايام بطريركيَّة ولم يطلق ذاك الاسم في اوائل الكنيسة الَّا على

---

١) قال صاحب الاعمال (٨: ١): «وحدث اضطهاد شديد على الكنيسة التي باورشليم فتبدد الجميع في بلاد اليهودية والسامرة»

٢) اعمال الرسل (١١: ١٩-٢٢)

الكراسي التي اسسها بطرس الهامة او بعض تلاميذه . وكفى دليلًا على ذلك قول القديس ايرونيموس حيث اختصر تعليم الكنائس بقوله:

« ان سمعان بطرس هامة الرسل بعد ان كان اسقفًا على كنيسة انطاكية ووعظ الذين آمنوا من اهل الختان الذين هربوا من الاضطهادات الى الى البنطوس وغلاطية وكبدوكية وآسية وبثينية في السنة الثانية للملك كلاوديوس (٤٢) وبعد ذلك قدم الى رومية ليطرد سيمون الساحر واقام هناك عرشهُ الكهنوتي خمسًا وعشرين سنة » (١

وقد يرلي الدهش والحيرة ما فعلهُ القديس بطرس حين اختار تلك المدينة لتكون امًا للكنائس الشرقية وعهدهُ بها انها وثنيَّةٌ محضةٌ لكنَّ افكاره كانت قد ثبتت بعد ما رآه في مدينة يافا من السماط النازل من السماء (اعمال ف ١٠) الذي اعلمهُ ان الدين المسيحي هو لجميع البشر . ذلك مع ما كانت عليهِ اورشليم في ذلك الحين وهي زاهرة عامرة تتقلَّب على مهاد الدعة والسلام آمنةً من طوارق الايام ونوازل الحدثان ويعتبرها اليهود كالمدينة الكبرى مثوى الرب يهوا والدين الاسرائيلي

ولا شكَّ ان ما دعا الرسول على هجر اورشليم الهامَّ الهي اعلمهُ بمستقبل كنيسة انطاكية وما تصير اليهِ من التقدُّم والعمران وما يحلُّ باورشليم من المصائب والنكبات لما اقترفتهُ تلك المدينة من الآثام فهي التي قتلت الانبياء ورجمت المرسلين اليها بل حكمت بالموت على السيِّد المسيح وقاومت الروح القدس ومع ما اجرى فيها الربّ من العجائب والآيات دامت قاسية القلب لم تُقِمْ لقولها ذكرًا ولا جعلت لتعاليمهِ وزنًا . وعلاوة على ذلك فقد كانت اورشليم محجورة على قسم الجبال اليهودية يحيط بها القفر الجامد من كل الانحاء فلا تجد هنالك معين ماء يشفي الغليل ولا شجرة تبهج النظر . هنالك الصخور الكثيرة الآكام المرتفعة مما يجعل المسالك متوعرة للسائرين . فكانت لا تصلح للمواصلات العديدة التي يقتضيها التبشير فان الدين المسيحي

(١ هذا نصهُ بالحرف Simon Petrus... princeps Apostolorum, post episcopatum Antiochensis ecclesiæ et prædicationem dispersionis eorum qui de circumcisione crediderant, in Ponto, Galatia, Cappadocia, Asia et Bithynia, secundo Claudii anno (42) ad expugnandum Simonem Magum Romam pergit, ibique viginti quinque annis cathedram sacerdotalem tenuit. (*De Viris Illustribus*, I.)

تناسبهُ مدينة عظيمة تنتشر منها الانوار دون مانع يعترضها الى العالم اجمع. فضلاً عن ان الشعوب الوثنية كانت تبغض اليهود ومدائنهم كما يشهد التاريخ فيما سطرهُ اهل الادب من اليونان والرومان فاربا سمتْ نفسٌ الى الدين المسيحي فصُرفت عن امانيها لما سمعتهُ عن اورشليم محطّ رحال الدين الاسرائيلي وعاصمتهِ

وصف انطاكية على عهد الرسل

نعم ان انطاكية كانت اصلح للدين المسيحي من اورشليم لما كانت عليهِ من العظمة والشرف وما حازتهُ من المنزلة الرفيعة اذ غدت الوصلة بين الشرق والغرب. هناك كانت ثروة الامم وغناها. هناك كان يجري نهرها العذب بين خمائلها الضافية الظلال منحدرًا من الشمال الى الغرب متقدمًا بين جبلي طوروس ولبنان وكان البحر قد قربها بغيرها من سائر البلاد الغربية والبرّ قد ساق اليها تجارة المدن الشرقية. فما احلى تلك السفن البيضاء تمرّ كالنسر على صفحات الماء خافقةً اليمّ سائرةً اليها او جاثيةً بالقرب من ميناها حيث كانت تسمع اصوات الملّاحين مرنّمين ترانيم الافراح والمسرّات بسائر اللغات المعروفة في ذاك العهد كاليونانية والرومانية والفينيقية وغيرها واردين اليها من رومية وانحائها او من جزر اليونان او من صور وصيدا او بيباوس (جبيل) وغيرها من المدن الشرقية

ومما اشتهرت بهِ انها كانت محطّ القوافل العراقية والعربية والسورية وكأن المخيلة تطير الى تلك الايام الخوالي لترى الابل قطارات البرّ واردات اليها او مناخة في وسط شوارعها وكأني بالاعراب يبيعون بحور بلادهم واهل العراق يتاجرون ببلح اراضيهم واهل الشام باسلحتهم ومشروعاتهم الخشبية المزخرفة. فهذه القشعمات والطرقات السائرة الى كل اطراف العالم القديم برًّا وبحرًا حملت العليّ على اختيارها وتفضيلها على مدينة اورشليم

وبقيت ارض انطاكية مجهولة عهدًا طويلًا في قديم الزمان لم يعلُ فيها اثر مع ما هي عليهِ من حسن الموقع وجمال الطبيعة. مرَّ بها مارك الارض ووطئوا اجبالها وسهولها ولم يلتفتوا الى رفيع محلّها وصافي اديمها. مرَّ بها ملوك نينوى وبابل ومادي وفارس يجرّون وراءهم العساكر العديدة ولم يقيموا لهم فيها حجرًا. مرَّ بها فراعنة

مصر عائدين من غزواتهم او سائرين الى افتتاح البلاد ولم يُلقوا اليها نظرًا. مرَّ بها الاسكندر الكبير سائرًا نحو مصر ليبني له فيها الاسكندرية ولم تترك في خلده ذكرًا . وكأن ذلك الشرف الاثيل خُصَّ باحد نوَّابهِ سلوقس الظافر. ومن لطيف ما رواهُ التاريخ ان سلوقس المذكور رام يوماً ان يقيم لنفسه ذكرًا يبقى في حوافظ البشر لما نال من المجد في موقعة إپسوس (Ipsus) يوم تزاحم قوَّاد الاسكندر لقسم ممالكهِ سنة ٣٠١ ق م فذبح ذبيحة للمشتري في انتيغونيا (Ἀντιγονία) واذا بنسر ورد من السماء يرفرف وحمل جزءًا منها والقاها على جبل سلپيوس (Silpius) مشيرًا بذلك الى بناء انطاكية. فشادها القائد على اسم والده انطيوكوس (١

ولمَّا احتلَّ تلك الارض واقام له فيها قصرًا تزينهُ الاشجار وشُيِّدت مِنَّ بعده المنازل والقصور اضحت بعد ان تعاقبت عليها الاعوام دار الحكَّام حتى غدت على ايام اغوسطس عاصمة الشرق كما كانت رومية قاعدة المغرب. وما كاد يبني فيها قصره حتى اتسعت ارجاؤها وانبسطت بيوتها على جبل سلپيوس فكانت انطاكية تعاين الشعوب تمرّ تحت اقدامها من تاجر وبائع وحامل سيف وربّ قلم واردين الى سمائها ليسكنوا بين اسوارها تحت ظلال حدائقها او وافدين اليها ليزوروا ابنيتها واحياءها الاربعة وقد وصفها استرابون احسن وصف حيث قال: « في الشمال الغربي بين الجبل والنهر توجد مدينة سلوقس نيكاتور التي بُنيت بادئ بدء. وفي جزيرة الماضي كانت مدينة كالينيكوس وعلى سفح جبل سلپيوس مدينة انطيوكوس ابيفانوس. وفي شرقي تلك الاقسام الثلاثة المدينة الرابعة تمتدّ من الوادي ثم ترتفع شيئاً فشيئاً. وكان سور عظيم قد احاط بها من النهر الى قمَّة سلپيوس متعالياً نحو قسم الأعلام متسلقاً سطح الجبال سائرًا بين انجاد وافوار الى ان يحيط بها من كل الانحاء. واما ما نراه اليوم من بقايا السور فهو ما اقامه يوستنيانوس على اثار السور

---

(١) وكانت هذه العادة منتشرة في كل انحاء المسورة يسمون المدينة او الشارع العظيم على اسم الملك او اسم مشاهير الرجال. وكان الملك سلوقس مولعاً باحياء مجد اسرتهِ فلم يترك احدًا منها الَّا وشاد على اسمهِ مدينةً ولذلك قد بنى اللاذقية على اسم والدته. واغاية على اسم زوجتهِ. وسلوقية ميناء انطاكية على اسمهِ. ولما انقضى اجله كان في سوريا ست عشرة مدينة باسم انطاكية وتسع باسم سلوقية وست باسم لاذقية

القديم. فدرجت الايام وهي تتسع وتمتد الى ان اصبحت تنازع رومية في الشهرة والغنى في الجيل الاول للمسيح (١

واذا وقف المسافر في رحب واديها يرمق الى منازلها وقصورها ويسرّح الطرف فيما شاده الانسان على سفوحها وما جادت به يد الطبيعة من غنيّ مواهبها بدت له كعروسة الشرق بين مائها ورياضها. هناك بين الشوارع الفسيحة والبيوت الجميلة كانت الصخور الجرداء تكسو الطبيعة حلّة الجمال. هناك البساتين الملتفّة الاشجار الكثيرة الادغال على جوانب الجبل تجد المغاور الوسيعة والكهوف العميقة. هناك الأودية الوافرة الاغار والمياه المتدفقة تتساقط على الصخور كالشلّالات تريح الفؤاد وتبهج الانظار. هناك يعاين المرء ما عُهد به اليونان والرومان من اتساع الافكار في رسم مبانيهم والابداع في رفع مغانيهم فقد جمعوا فيها ما أنشأوه في البلاد الشرقية والغربية من الغرائب واللطائف فقد شيّدوا في « ابيفانيا » عددًا وافرًا من الهياكل والمراسح والحمّامات والميادين والملاعب. وبالقرب من هذه الابنية كان الشارع العظيم الذي يقطع انطاكية من الشرق الى الغرب وطوله ستٌّ وثلاثون غلوةً (٢

وحسبُ الناظر ان يلقي بنظره الى المعابد العظيمة التي كانت تعلو الى السماء بكامل هندستها ورفيع اعمدتها ليدرك مفاخرها. فكانت النفوس ترتفع بارتفاعها الى ما دون الارض من الثاوي العلوية كما قال احد الكتبة الوثنيين. وكان المرء اذا احلّ الغمُّ في قلبه يميل الى الشوارع حيث الاندية والقاعد العمومية فيقضي نهاره بين الترّهات والالعاب يطوي الايام في التهاون والكسل. واذا اصبح مكروب الصدر كاسف البال ثم يغاب الى الميادين علّهُ يفرج عن كربته. فيتمهّد الخيول تجري والفرسان تجول بين صراخ القوم واستحسانهم. واما من أترفتهُ النعمة منهم واطغاه الغنى فتراه يختال أشرًا ويجرُّ ذيل الطرب مرحًا بطرًا الى ان يفد الى ابواب المراسح

---

١) اخذنا وصفنا هذا عن اشهر المؤرخين نخصّ منهم بالذكر اوتفريد مولّير في كتابه عاديات انطاكية (Antfried Müller: *Antiquitates Antiochenae*). وهذا العالم قد نقل عن مخبة الكتبة الاقدمين لا سيما يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي سطر كتابَي الحروب اليهودية والعاديات اليهودية وفيلوستراتوس وليبانيوس الانطاكي الفيلسوف ويوحنا ذهب الذهب

٢ اي سبعة الآف متر كما قال ديون الذهبي الفم Dion Chrysostome, *Or.*, XLVII

فيقف وقد اضناه التعب فيسرع الحارس ويحني لهُ مفرقهُ خشوعاً واحتراماً فيدخل وقد ملأ الباب شخصهُ فيستند الى احد المجالس المعدَّة يرمق الى اللاعبين وما يأتون بهِ من سجع الاشارات وما يفوهون بهِ من فاحش المقالات ويشاهد الرقصات بهيئةٍ تُخجِلُ الانسان. وكان يتخلَّل تلك الملاعب الشبقة انغامٌ تحرِّك الشاعر يشجيّ الحانها بحيث تهيج بها المغية وتعثر بها النفوس لليها وطلاوتها فكان الفتى يتعلم من والده اقبح الاعمال والفتاة تتلقَّن عن والدتها افظع القبائح. فهذا ما اتاه الدين الوثني وما يأتي بهِ الانسان ان لم يكن منارًا بساطع الايمان. فكانت الايام تمرّ على تلك الحال الى ان يأتي زمن التيقظ ووَقدات الحرّ فتنفتح الحمامات لطالبي النعومة وذوي الرغادة. تلك حالة انطاكية الكبرى على ايام الرسل كما ذكرها المؤرخون المعاصرون

ولمَّا اصبحت عِنْدَ المدائن تقاطر اليها جمعٌ لا يأخذهم الاحصاء من كل مرتبة وكل جنس فأضحت محطّ القوافل وسوق الامتعة والبضائع. ومما اعان المدينة على الاتساع ما اتى بهِ ملوك سلوقية من السُّنن والاحكام السهلة بحيث ان من لبث فيها شطرًا من الدهر قصيرًا غدا من اهلها وسكَّانها يتشبَّع بحقوقها وامتيازات قاطنيها. وما كادت تلك القوانين تظهر لدى العيان حتى غصَّت بالسكَّان من اطراف العالم واضحى عدد سكانها على عهد الرسل خمس مئة الف قاطن. وارتفع شأنها من بعد فتوحات الرومان لسورية ودعيت قصبة اليهود الشرقيَّة وصارت اقليماً تحت امارة السلطنة الرومانية فاقام الوالي هناك قصرًا يراقب احوالها وشؤونها. وجاء الناس من بعده من اهل السلطان وارباب الدولة وشادوا بيوتاتهم بالقرب من اميرهم في الجزيرة وكأنَّ نسيماً هبَّ نحو رومية يدعو عظماءها الى قاعدة سورية فوفد اهل الغنّ والثروة وما لبثوا فيها حيناً قصيرًا حتى سُحروا بلطيف مناظرها فرفعوا مغانيهم في بطن واديها فتلاهم الترف وتبعهم الفساد والخلاعة فغدت شواطئ العاصي ارض المعاصي (١ وغاب عن الاهلين حب الاوطان واضاعوا اخلاقهم وطبائعهم. ولا عجب ان تلك الرذائل انشأت غيرها كالطيش والمنازعات والطمع والكسل فكانوا كالريح في هبوبه لا يقرّ لهم قرار يديرهم الخطباء واللاعبات كما شاؤوا.

---

١) راجع شعر يوفنال في هجائهِ الثالث: (Juvenal: *Satira*, III, 62-66)

ومما كانوا يأنسون اليه من الملاعب والملذّات ما كان يجري في الميادين من الحرب والقتال حيث الخيول تثارها الخيول وحيث المركبات تقدمها المركبات وتتنازع في مجال واسع الارجاء. لئن تيجان الظفر وبقيت تلك الالعاب الى عهد الذهبي فمُ فكم مرّة سمعناه يردعهم عنها فلم يقيموا لكلامه وزناً ولا احدثوا له ذكرًا

ويا حبذا لو قام فيهم فلاسفة من اهل العلم والفضل يرشدونهم الى مسالك الفضيلة ولكن الفلاسفة كانوا يضارعون الشعب في غيّه وفساده فضلاً عن ان كهنتهم وارباب دينهم كانت لم تطمح نفوسهم الّا الى الثروة والشرف. ومما يدل على سقوط الاهلين وذلّهم ما حدث في انطاكية على عهد اوغسطس فقد انتشر هناك طاعون اشتدّت وطأته وكثر فيه القتلى فرفعوا الى الآلهة اصواتهم واقاموا للالهة كارون في اعلى سلبيوس صنماً عظيماً يذكرهم بالداء ولمّا غابت عواقبهُ غابت عن خلدهم اثاره فبقيت ظلاله تمتدّ على البيوت دون ان تترك في النفس ذكرًا

وطالما مدح المادحون هيكلها الشهير المسمى هيكل الثار (Δάφνη) وهو يبعد عنها نحو ساعتين تمرّ الطريق بين الحدائق الغنّاء بين مياه تدعو المسافر الى التنعّم والرخاء. وكانوا في اعيادهم ومسرّاتهم يغدون اليه يقيمون فيه الحفلات الوثنية ويضربون بآلات العزف كالكنّارة والعود حتى قال ليبانيوس عنهم: «كان الدين عندهم يقضي عليهم بالتدنيس والآثام ونزع ما بقي فيهم من الفضيلة والشرف» (١)

قدوم الرسل الاوّلين الى انطاكية

تلك حالة انطاكية من الدين والادب على عهد الرسل. وكان اسرائيل بين

---

١) ان هيكل الثار واقع في الجنوب الغربي من انطاكية نحو الغرب وقد سُمي اليوم «بيت الماء» لكثرة المياه فيه. وقد بقي المسافر عجبًا ليجد هناك بعض الآثار القديمة فلا يجد شيئًا يُذكر على انهُ باقي هناك السيول الخفيرة والطواحين الكثيرة. والقرية تمتد على سفح الجبل. وقد بنى سلوكس نيكاتور هيكل دفني. وقد جاء في اساطير الاولين انّ دفني الهة هربت من وجه ابولون فتحولت نحو شجرة غار في تلك الانحاء واختبأت فيها فلذلك دعي ذاك المحل ابيدفني Ἐπιδάφνη. وكان هناك هيكل للاله ابولون وللالهة ذيانة وللزهرة. وقد تجلّت على عهد السلاطين الرومانيين لما وضعوا فيها من التماثيل ثمّ اصبحت بعد ذلك زاهرة بما أقيم فيها من الكنائس المسيحية الكبيرة

تلك الفواحش الوثنية كالنهر الصافي يجري بينها دون ان يختلط ماؤه او يكدر صفاؤه متعلقاً باهداب دينه القويم مترفعاً عن سفالات الامم بآداب شريعته مفتخراً بما اتاه من الوحي والالهام. وكان حائزاً على الانعامات عينها التي نالها يهود مصر على عهد البطالسة. ولقد استحسن السلوقيون باليهود لما عهدوا بهم من البسطة والثروة في بلادهم. ولذلك قد نادوا لهم بالحرية التامة فاجازوا لهم الجري على سنن اباتهم دون معترض يعترضهم واقامة المجامع وتشييد بيوت الصلاة طبقاً لعوائدهم. ولذلك اختاروا لانفسهم رئيساً من جنسهم قلدوه زمام السلطة الروحية واقاموا له مساعدين جماعة من الشيوخ والعلماء وارباب الفطنة والنفوذ. ولما راى عدد وافر من الوثنيين ما ناله ذاك الشعب من الامتيازات الكبرى والانتظامات الفريدة ووقفوا على سامي تعاليمهم ورفيع عقائدهم اخذوا يدينون بدينهم حتى اضطر انطيوكوس ابيفانوس الى رد الاواني المقدسة التي سُلبت من هيكل اورشليم. ولقد زادت انعاماتهم على عهد الرومانيين لوفرة اموالهم وسطوة راييهم بين الشعوب

ولما قدم الرسل الى انطاكية وجدوا هناك نفوساً ظامئة الى التعاليم المسيحية وبعد القليل من الزمن انضم اليهم من كان بين اليهود صادق النية ينتظرون ورود الخلص الموعود به من نشأة الادهار وتبعهم كثير من عبدة الاوثان ونشأت اذ ذاك كنيسة جديدة تمتاز باسرارها ورؤسائها عن المجامع اليهودية ولكن لم يتم ذلك الا بعد ان تعاقبت الايام الطوال جرى في اثنائها مباحثات عديدة انتصر فيها روح المسيح على اراء اليهود فيما يخص الطقوس والختان. ولما اتسعت وكثر مؤمنوها وفد الرسول بطرس اليها وجعلها ام الكنائس الشرقية. ومما هو حري بالذكر انه غدا حبرها وقائدها واقام فيها له نواباً من الشيوخ لترتيب الامور الداخلية والخارجية وهؤلاء الكهنة هم الذين وضعوا ايديهم على بولس وبرنابا. وبقي فيها الرسول زماناً غير يسير ثم رحل يبشر في آسية الصغرى

على ان الكنيسة التي تركها القديس بطرس نحو السنة الاربعين كانت كنيسة يهودية بطقوسها وترتيبها واعيادها واصوامها « لان الذين تبددوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب استفانوس قد اجتازوا الى فينيقية وقبرس وانطاكية لم يكلموا

احداً بالكلمة ألا اليهود » (١ بيد ان اولئك المبشرين تغيّرت افكارهم واخذوا يبشرون لليونانيين اذ رأوا القديس بطرس يعمّد الوثنيين ويثبّتهم في مدينة يافا. قال صاحب الاعمال. « لكن قوماً منهم كانوا قبرسيين وقيروانيين فهؤلاء لما قدموا انطاكية اخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم » (٢

ولا ريب ان اليونانيين المذكورين في هذه الآية هم الوثنيون وليس الدخلاء. لان الدخلاء كانوا من عهد عتيق قد سمعوا كلام التبشير حتى ان احد الشمامسة المسمى نيقولاوس كان دخيلاً انطاكياً. والقديس لوقا يوضح ذلك بالآيتين السابقتين في الاولى يبيّن ان المبشرين لم يكلموا الا اليهود فقط وفي الثانية يقول انهم اخذوا يكلمون اليونانيين ايضاً. فضلاً عن ان الدخلاء كانوا يُعتبَرون من عداد اليهود كما اجمع على ذلك أئمة المفسرين

فانتشرت الاخبار ووردت الانباء مشوّهةً الى كنيسة اورشليم فمادت واضطربت وتحدّث الشيوخ ورؤساء الكنيسة قائلين: لقد طأطأنا هامتنا بخشية واحترام لصوت بطرس الهامة ولم نَنُهْ بكلمة يوم بشّر للامم ولكن من اين اتخذ هؤلاء المبشرون سلطتهم ؟ من ارسلهم ليحرروا الامم قائلين لهم: « لا فرق بين اليهودي والوثني » أما تستحق كنيسة اورشليم الاكرام والاجلال ؟ فدلّت لهم نفوسهم واقرّوا الراي على ان يرسلوا مفتشاً من اهل الدراية والحكمة ليترصّد تعاليم هؤلاء المبشرين في انطاكية ويحيدهم عن غيّهم وضلالهم. فاختاروا برنابا رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس وكان يوناني الاصل من قبرس. وكانت نعمة الرب قد غيّرت تلك النفوس وطمحت بها الى معارج الفضائل وسمت بها الى ذرى التقوى والعبادة فضلاً عن ان الروح القدس كان قد اجرى على ايديهم الآيات الباهرة وكتب عليهم غزير مواهبه. فلمّا قدم اليهم برنابا الرسول وتعهد بانظاره اثمار القداسة والكمال اطرأ تَيْرَهم واثنى عليهم الثناء الطيب وحثّهم على الرسوخ في الايمان. فكان لكلامه اجل وقع واحسن تأثير في قلوب اليونانيين المرتدين (٣

---

١) (اعمال الرسل ١١ : ١٩)

٢) اعمال (١١ : ٢٠-٢١) ٣) اعمال (١١ : ٢٢-٢٤)

برنابا وبولس الرسول في انطاكية

وبينما كان الوثنيون يتكاثرون ويرتدُّون الى الدين المسيحي تذكَّر برنابا ان الذي اختاره الله ليكون رسول الامم هو في طرسوس يقضي أيامه بالعزلة والانفراد منتظرًا صوت الرب ليسير حيثما يدعوه . فسار اليه الى طرسوس - واتى ببولس الى انطاكية ليسلِّم اليه تلك البلاد وبقيا معًا سنة كاملة . وكان موضع وعظهما في متنصف المدينة في الابيفانيا . قال ذهبي الفم : « بينما كانت الجموع تسعى وراء الملذَّات في الهياكل والمراسح كان صوت الرسول بولس يرتفع نحو السماء كرعد قاصف امام جموع لا يكاد يُحصى لهم عدد » . فمن لنا بلسان الذهبي الفم ليصف لنا بلاغة القديس بولس وفصاحتهُ في فنّ الخطابة فكان له كلام عذب سائغ سديد المنهج مُشرق المعاني . فاذا تكلم ملك العيون والاسماع واسرَ القلوب والافهام فيخطب والبلاغة تتدفَّق من فمه والادلَّة تجري مجرى السيف البتّار وكفاه مدحاً قول بعضهم : « هو الخطيب المصقع لا يجاريه احد في فنون الكلام بما يبديه من البيّنات الساطع والحجج القواطع »

ولم يقضِ الرسول في انطاكية تلك السنة الّا ليتهيَّأ بالصلاة وتلاوة الكتاب للتبشير والانذار وكان في غضون ذلك يدرس اخلاق الاهلين من يهود ويونانيين ليكون سهمهُ صائباً في مباحثاته معهم . وقدم في ذلك العهد انبياء من اليهودية ليستعطفوا القلوب ويحملوا الصدقات من انطاكية الى كنيسة اورشليم . والنبيّ هنا يدلُّ على اناس كان الله يلهمهم الوعظ والارشاد وربَّما اوحى اليهم معرفة المستقبل ولقد عُدَّت تلك الهبة من ارقى المواهب واسماها التي وزّعها الروح القدس على المؤمنين واذا قال الرسول بولس الى اهل كورنثس في رسالته الاولى : « اتبعوا المحبة وتنافسوا في الروحيات وبالاحرى في ان تتنبَّأوا فان الذي ينطق بلسان لا يكلّم الناس بل الله اذ لا يسمع احدٌ غير انهُ بالروح ينطق باسرار . اما الذي يتنبأ فيكلم الناس بكلام بنيان وموعظة وتعزية . الناطق بلسان انما يبني نفسهُ اما الذي يتنبأ فيبني كنيسة الله . أُحبُّ ان تنطقوا جميعكم بالسنة ولكن بالاحرى ان تتنبأوا لانَّ الذي يتنبأ اعظم ممَّن ينطق بالسنة » (ف١٤ ع١—٥) . فاستقبلتهم كنيسة انطاكية بما يليق بمقامهم من الاكرام والاجلال .

و... ت العثرت قوم امد الانبياء . وهو المسمى اغابيوس وانبأ بالروح ان ستكون مجاعة شديدة في جميع المسكونة وبيّن ما سيحلّ بكنيسة اورشليم من النكبات ان لم يَمُدَّ اليها احد يد الاحسان . وكان المؤمنون في اورشليم قد باعوا املاكهم لإغاثة الفقراء والملهوفين واصبحوا محتاجين الى صدقات ارباب الكرم والفضل « فعزم التلاميذ بحسب ما تيسّر لكل واحد منهم ان يرسلوا خدمة الى الاخوة الساكنين في اليهودية ففعلوا ذلك وبعثوا الى الشيوخ على ايدي برنابا وشاول » (اع ١١ : ٢٩)

ولما انتهى الرسولان الى اورشليم حاملَين ما جادت به كنيسة انطاكية وجداها في حالة الذلّ والهوان لما أُنزل بها من الاضطهاد الشديد هيرودس اغريبا . فان هذا الملك توصّل بمكره ودهائه الى أسر قلب الملك كاليغولا فاصاب منهُ ملكاً واسع الاطراف كان يسود عليهِ هيرودس انتيباس وفيلبوس وغدا مقرّباً عند السلطان كاوديوس فنال مُلكاً يضارع مُلك هيرودس الكبير . واستخدم الخديعة لاستجلاب اليهود اليهِ فاقام عرشه في اورشليم وتطوّع لعوائدهم في كثير من الامور . وكان لا يألو جهداً في رضى الشعب مستحلّاً ما لا يستحلّهُ الدين والعقل قال الكتاب : « والقى الايدي على قوم من الكنيسة ليسيء اليهم وقتل يعقوب اخا يوحنا بالسيف ولما رأى ان ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس ايضاً . وكانت ايام الفطير (اعمال ف ١٢ : ع ١—٤) » . وكان الزوّار يتواردون من اقطار الدنيا لعيد الفصح ورام ان يقف امامهم موقف البطل والرضوان بقتله هامة الرسل على ان سعيهُ قد ذهب ادراج الرياح فان الملاك خلّص الرسول من السجن . ومات الملك اشنع ميتةٍ جزاء تعدّيهِ على الكنيسة المقدسة (١

وملك من بعده الولاة الرومانيّون بما عيدوا به من العدل والانصاف وكانت كلمة الرب تنمو وتنتشر . ولما ساد السلام التامّ رجع بولس وبرنابا الى انطاكية وفي نفسهما الحسرة والكآبة على الكنيسة الاورشليميّة لما وجدوا فيها من التعلّق الشديد بالرسوم والطقوس الموسوية حتى ان الرؤساء فيها وجماعة الشيوخ كانوا يقولون :

---

١) ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي في كتاب العاديّات اليهوديّة (Antiquitates . XIX, 8, 2°) ان الرب ضربهُ لكبريائهِ . قال صاحب الاعمال (ف ١٢ع٢٣) : « ضربهُ ملاك الرب لانهُ لم يعطِ مجداً لله فاكلهُ الدود واسلم الروح »

لا خلاص لمن لا يختتن . اما كنيسة انطاكية فكانت تسرح طرفها نحو العالم باسره لتسلك الجميع الى المسيح . ومن اشهر رعاة كنيسة انطاكية سيمون الملقب بالاسود ولوقيوس القيرواني ومناين الذي تربّى مع هيرودس رئيس الربع وشاول (اع١٣: ١)

ولم يكن الرسول العظيم قد نال نصيباً من الرسامات الكنسيّة (١ بين هؤلاء المعلمين والانبياء . بل كان ينتظر بصبر عجيب ذاك اليوم السعيد ولا ريب انهُ حدّث رعاة الكنيسة عن دعوته المقدسة وان العلي اصطفاه ليكون رسول الامم وانبأهم بما كان يمرّ في خلده من العزائم وما يضطرم في فؤاده من الغيرة وما اعدّه لهُ المستقبل من الاتعاب والمشقات لخلاص الامم . على ان رؤساء الكنيسة الانطاكية كانوا يتوقعون قدوم الرسول بطرس ليعرضوا عليهِ فضائل القديس بولس ويضع يده عليهِ ليرفعهُ الى اعلى مقامات الشرف في الكهنوت اي الاسقفية . فطال الزمان الى ان وافت اعياد عظيمة كان يتقدّمها الصوم والصلاة كما ذكر القديس لوقا . وبينما كانوا يقيمون الذبيحة الالهيّة اذا بصوت الروح القدس قد ارتفع قائلاً : « افرزوا لي شاول وبرنابا للعمل الذي دعوتهما اليهِ فصاموا حينئذٍ وصلّوا استعداداً لذاك الامر الرهيب ووضعوا ايديهم عليهما » (اعمال الرسل ف ١٣ ع ٢—٤) . ولقد حفظت لنا الآثار الرومانية صورة رسامة جرت في الاجيال الاولى للمسيح فاذا زمانين في تلك الرسامات الاسقف جالساً على عرش مرتفع والشعب يحيط بخشوع واحترام . فيتقدم الكاهن وفي يده درج سطّرت عليهِ صفات المرشّح وفضائلهُ فيقرأها بتؤدة ووقار . واذا انتهى من تلاوتها يميل الاسقف طرفهُ الى المؤمنين ويسألهم قائلاً : هل هو اهلٌ لهذه المرتبة العظيمة . فيهتف جمهور الحاضرين هو اهلٌ لها : Axios . ويردّد السؤال ثلاث مرات . ثم يتقدّمون بالصلوات البديعة ليستنزلوا بها نعم الروح القدس على المرء المصطفى . ويضع الاسقف يده عليهِ ويتلو صلاة الرسامة ثم يلقي عليهِ حلّة الكهنوت والاسقفية بينما يهتف الجميع بصوت جمهور Axios اي انهُ اهل لها . ولا يبعد ان تكون جرت على تلك الصفة رسامة القديس بولس وبرنابا في صورتها الجوهريّة في كنيسة انطاكية . وبعد ان نالا نعم الروح القدس بالرسامة رحلا للتبشير

١) هذا رأي لبعض الكتبة ويرجّح غيرهم رسامة بولس قبل ذلك لمّا جاء الى اورشليم بعد ارتداده (المشرق)

وسار الرسولان يبشران في قبرس وپمفيلية وانطاكية بيسيدية وليكاونية ثم عادا الى انطاكية سورية ليريحا النفس مما عانياه من التعب والشدة في البلاد التي وعظاها. وكانت انطاكية من عهدٍ بعيد ملجأً للشريد ومعقلاً للطريد. وكان اليهود القاطنون فيها آمنَ اليهود المتشتتين في آسية الصغرى. والسبب في ذلك ان آل اسرائيل اذا نزلوا في بلاد وألفوا امامهم أمة متوحشة احتقروها وآثروا الانفراد متشامخين متكبرين واذا وجدوا شعباً متمازاً بعلمهِ وآدابهِ خفضوا لهم رؤوسهم خجلاً واحتراماً. على ان مدينة انطاكية كانت من المدن الراقية في المدنية والعمران تزينها المكاتب المتنوعة والمدارس المختلفة. وكان يهود الشتات قد تركوا تلك السنن الفريسية التي كانت تتشبث بها مدارس اورشليم فضلاً عن انهم كانوا اهل تجارة يسعون في تحصيل الرزق وحشد الاموال غير مبالين بما تعلمهُ المجامع من تطهير الايدي والجسم لمخالطة الامم وربما اضطروا الى الامر لما كان يحول دون تلك السنن من العقبات. وكانت مدرسة الاسكندرية قد نشرت عقائدها المسماة بالرموز واصبح العدد الكبير يعدُّ تلك الشرائع رموزاً لا فائدة وراءها. حتى ان الختان عاد عند البعض منهم كلا شيء.

نزاع كنيسة انطاكية بسبب الرسومات الموسوية

وكان على الناموس في اورشليم يخشون على هؤلاء المتشتتين بين الامم فكانوا يرسلون الرسل الى المعمورة كلها ليحضوهم على حفظ النواميس الموسوية ولهذا قال السيد يوماً للفريسيين (متى ٢٣: ١٥) : «الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تطوفون البرَّ والبحر لتجلبوا لكم دخيلاً واحداً فاذا حصل صيرتموه ابن جهنم ضعف ما انتم عليه». ولما جاءت الاخبار الى اورشليم بأن الرسول بولس قد ضمَّ اليهِ بالتبشير عدداً وافراً من الوثنيين والدخلاء وعلَّمهم بان تلك الرسومات الموسوية لا طائل وراءها بل انها هي أحمال شاقة لا طاقة للانسان على احتمالها ارسلوا بعضاً منهم ليجسُّوا الاخبار ويتعهدوا بانظارهم ما كان يجري في كنيسة انطاكية. فقدموا من اورشليم كالجواسيس وقد سماهم الرسول «الاخوة الكذبة الداخلين زوراً ليتجسسوا حريتنا التي نحن عليها في المسيح يسوع». فانسابوا كالذئاب بين المؤمنين واخذوا

يسمعون بصمت وحشمة تعاليم الشيوخ والرسول بولس. ثم دفعتهم غيرتهم الكاذبة فاصبحوا يعترضون على تعليم الرسول في السرّ والجهر قائلين: ان لم تختتنوا على سنّة موسى فلا خلاص لكم. فاستعرت نيران البحث والمجادلات وكان الرسول يتكلم بما طُبع عليه من سديد الحجّة وقوي البرهان. فلم يكترثوا لكلام احد من ارباب العلم في انطاكيـة وحدث لذلك قلق واضطراب بين المؤمنين فلم يجدوا بدًّا من الالتجاء الى هامة الرسل المقيم في اورشليم. قـال الكتاب (اعمال ١٥: ١—٤): «وانحدر الى انطاكية قوم من اليهودية يعلّمون الاخوة قائلين: ان لم تختتنوا على سنّة موسى فلا تستطيعوا ان تخلصوا». واذ جرت لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة معهم غير قليلة رسموا ان يصعد بولس وبرنابا واناس آخرون الى اورشليم الى الرسل والكهنة من اجل هذه المسئلة. فهؤلاء بعد ان شيّعتهم الكنيسة اجتازوا الى فينيقية والسامرة يحدثونهم بتوبة الامم. ولمّا قدموا اورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والكهنة بالبشاشة واللطف. ولبثوا زماناً قصيرًا يعدّون الخواطر ويهيّئون الافكار ويظهرون ما صنعهُ الله من الآيات بين الامم الى ان التأم المجمع الاورشليمي في سنة اثنتين وخمسين للمسيح وبعد بحث طويل اقرّوا الرأي على ما علّمهُ القديس بولس ان لا حاجة للختان والرسومات الموسوية. وسطّروا كتاباً قالوا في خاتمته: «قد رأى الروح القدس ونحن ألّا نضع ثقلًا فوق هذه الاشياء التي لا بدّ منهـا وهي ان تمتنعوا مما ذُبح للاصنام ومن الدم المخنوق والزنى فاذا صنتم انفسكم من هذا احسنتم فيما صنتم. كونوا معافين». وزاد على ذلك القديس بولس في رسالته الى اهل غلاطية: «ولما عرفوا النعمة الموهوبة لي مدّ يعقوب وكيفا ويوحنا المعتبرون كأعمدة اليّ والى برنابا يمناهم للشركة لنكون نحن الامم وهم للختـان (غلاطية ٢: ٩—١٠) وعلى عهد واحد ان نتذكر الفقراء وذلك قد اجتهدت في انجازه». وسنراهُ يجمع الصدقات من رومية وانطاكية وكورنثس ومن الكنائس التي يبشرها ليرسلها الى اورشليم

ولقد جرى في كنيسة انطاكية حادث نال اهمية كبرى وقطع المنازعات الى دهر طويل وامد بعيد وذلك انّ بطرس الرسول جاء الى انطاكية وتمزّى بما عاين من نجاح تلك الكنيسة وتنوّها واخذ يأكل ويشرب مع الاخوة دون ان يميّز بين الاطعمة وبقي على تلك الحالة الى ان اتى يهود من كنيسة اورشليم واخذوا يعلمون

سرًّا بان لا بد من حفظ الرسومات الناموسية . فتنحّى الرسول بطرس عن الاخوة الذين من الامم وتبعهُ سائر المتنصّرون من اليهود وكاد يصير اضطراب لاجل هذا الانقسام لولا ان الرسول بولس تدارك الخلل وأوقف مجرى الامور بصائب رأيه . قال في رسالته الى اهل غلاطية : « لما رأيت انهم لا يسيرون سيرًا مستقيماً الى حقّ الانجيل قلتُ لكيفا امام الجميع : ان كنت انت مع كونك يهوديًّا قد عشتَ عيش الامم لا كاليهود فلِمَ تلزم الامم ان يتهوكوا مسلك اليهود » . فاطمأنت الافكار ورضي بطرس برأيهِ وعادت المياه الى مجاريها وانتهى الخلاف بين الامم واليهود وانقطع النزاع وارتدع المرسلون الاورشليميّون ولم يعودوا يظهرون في انطاكية

حالة كنيسة انطاكية الاولى وهيئتها وطقوسها

ذكرنا شيئاً عن حالة انطاكية ونشأتها وما طرأ عليها من التغيير في خمس وعشرين سنة على ايام الرسل ولم نسطّر ما كان عليهِ المؤمنون من الحياة الداخلية مما يعذُبُ ذكره وايراده . فمن اجلّ النعم التي وزّعها المولى على تلك الكنيسة الانطاكيّة هي نعم الروح القدس . وقد بدت تلك النعم على ذاك الجيل بجليّ بيانها وساطع سنائها فميّزتهُ عن سائر الاجيال . فان المعزي الموعود بهِ اظهر افعالهُ العجيبة وسلطانهُ الرهيب بما كان يجريهِ من الآيات الساطعة والعجائب الباهرة كالنبوءات والنطق بالألسنة وشفاء المرضى ممّا تحار عندها الافهام ولقد تمّت في ذاك العصر نبوّة المسيح حيث قال : « وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلّمون بالسنة جديدة ويحملون الحيّات وان شربوا شيئاً مميتاً فلا يضرّهم ويضعون ايديهم على المرضى فيتعافون » . (مرقس ١٦ : ١٧ — ١٨)

واذا نظرنا الى هيئة تلك الكنيسة ورؤسائها اخذنا العجب اذ نعاين شيوخاً يسوسونها ويدرّبون المؤمنين فيرقّونهم في معارج التقدم والكمال المسيحي . ولم تنل تلك الكنيسة الانطاكية في اوّل امرها استقلاً واحداً ينفرد بسلطتهِ دون غيره لاسباب كثيرة منها ان نظام الكنيسة وترتيبها انما اتخذوه في بادئ الامر عن المجامع اليهوديّة ولم يفترقوا عن الهيئة الاسرائيليّة الّا بعد حين فضلاً عن ان اليهود كانوا يأنفون من اعطاء السلطة والرئاسة لرجل يوناني وكان اليونان لما هم عليهِ من الانفة

وعزة النفس يأبون ان يذعنوا لرجل اسرائيلي . فحسماً لكل منازعة تنشأ عن الكبر والحسد ضبط القديس بطرس نفسهُ ازمّة الكنيسة الانطاكيّة فكان هو اوّل اساقفتها على ما ذكر اوسابيوس في تاريخهِ وايرونيموس وغيرهما . وبقي على رئاستها الى ان دعاهُ الله الى انشاء الكرسيّ الروماني فعهد الى إفوديوس تدبيرها فكان اوّل اسقف عليها بعدهُ . ثمّ خلفهُ اغناطيوس النوراني الشهيد . وكان يساعد الاسقف في مهمّتهِ جماعة من الكهنة والشيوخ مشهورين بالحزم والفطنة وحسن السيرة وصحيح التعاليم وهم يذعنون لراعي كنيستهم في كل شيء .

ولقد تصبو النفس الى معرفة طقوس المؤمنين الاولين في صلاتهم وما كانوا يقرنون بهِ من التضرعات والترسلات . وكان اليهود اذا وقفوا للصلاة غطوا وجوههم تواضعاً واحتراماً امام العزة الالهية والرب الصباؤث . واماً اليونانيون فكانوا في وقت الذبيحة فقط يغطون عيونهم لئلّا يعترضهم شيءٌ مشؤوم وفي وقت الصلاة يكشفون رؤوسهم . ولربما كان النوعان من الصلاة يستخدمان في كنيسة انطاكية الّا ما ادخلتهُ الخرافات الوثنية من تغطية العيون وقت الذبيحة . ولم يكن هناك طقس مخصوص بالصلوات الّا ما ورثوه عن المجامع اليهودية ولم يغيّروها الّا مع تمادي الزمن فكانت الحفلات الدينية تستهلّ بترنيم المزامير على انغام معهودة ثم تتلوها قراءة الانبياء العظام . ولا ريب انهم ابدلوا ذلك بتلاوة انجيل القديس لوقا في كنيسة انطاكية ويا حبّذا لو ابقى لنا الزمان تلك الترانيم والحانها . ومما هو حري بالذكر انّ المؤمنين كانوا ينظمون التسابيح اللطيفة ينشدونها في بيوتهم ثم بعد طول الزمن اخذوا يرتلونها في المجامع وفي الكنائس . ولا مراء انهم كانوا يؤثرون صلاة الرب على غيرها فيوردونها في بدء اعمالهم كلها ونهايتها . ولقد وعى لنا الدهر صلاة بديعة يرتقي عهدها الى اواخر الجيل الاول ربما كانت تُتلى في كنيسة انطاكية وهي : « مبارك انت ايها السيد الهنا الاه ابائنا ابراهيم واسحاق ويعقوب الاله العظيم القادر على كل شيء الرهيب المتعالي الموزّع النعم والمراهب والمرسل لفداء اولاد ابنائنا لتمجيد اسمك واظهار مجدك . انت المأمّل الى الابد انت مقيم الموتى بمراحمك الغنيّة تعين الساقطين وتشفي المرضى تخلص المسجونين وتحفظ عهودك للذين يرقدون رقدة الابد . من مثلك يا الله من يضاهيك قدوس انت يارب قدوس هو

اسمك والقديسون باجمعهم يمجدونك وهم في السماء يرنمون قدوس قدوس قدوس هو الرب الاه القوات كل الارض مملوءة من مجدك ». ومثلها بعض الدكسولوجيات التي رتبتها المجامع الاولى الى عهد الرسل (راجع رسالة القديس بولس الاولى الى طيموثاوس ١ : ١٧)

ومن اجل الصلوات واسماها كسر الخبز اي الذبيحة الالهيَّة التي كانوا يقيمونها عند غروب الشمس كل يوم في حجرة مرتفعة مزخرفة بالفرش وادوات الزينة منارة بالانوار الوافرة واسعة الارجاء ممتدَّة الانحاء وربَّما كانوا يقدّمون على . وكان لتقديم الذبيحة نوعاً من الولائم دعوها بالمحبة (Agapæ) فكان المؤمنون يأتون بطعامهم ويلتئمون جماعات جماعات ويأكلون معاً . وبعد تلك الوليمة الاخوية كانوا يصعدون الى العلية حيث تقام الذبيحة الالهيَّة . ثمَّ فُصلت هذه الولائم عن الذبيحة

ولو طرنا بالفكر الى هاتيك الازمنة وتمهَّدنا اولئك المؤمنين لرأيناهم قبل الذبيحة يذرفون الدموع السخينة ويستصرخون المولى عن مآثمهم . لشاهدناهم رافعين ايديهم نحو السماء وعيونهم شاخصة الى العلاء . ولقد مثَّلوهم في الديامس بالمصلّيات (Orantes) . وكان صوت الكاهن يرتفع من بين الجمع بالوقار والاحترام ويهتف قائلاً والشعب يحني رأسهُ بخشية وتواضع : ان الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها اخذ خبزاً وشكر وكسر وقال : خذوا فكلوا هذا هو جسدي الذي يكسر من اجلكم . وكذلك الكأس من بعد العشاء هذه هي الكأس العهد الجديد بدمي . وفي نهاية الذبيحة الالهيَّة يتقدم المؤمنون نحو الكاهن لقبول جسد المسيح محلّين يديهم فيضع في يدهم اليمنى خبز الملائكة فيتناولون ثم يشربون كاهم دم المسيح من الكأس المقدسة . وكثيراً ما كانوا يقيمون تلك الحفلات بأبَّهة واجلال ايام السبوت والاحاد وايام الاعياد الكبرى كعيد الفصح وعيد العنصرة

فمن يسطر لنا ما كان عليه ابازنا من الفضائل المسيحيَّة فانهم كانوا يقتفون اثار معلّمهم الرسول بولس حيث علّمهم ان يكونوا « خدَّاماً لله في الصبر الكثير والضرورات والشدَّات والطهارة والعلم والاناة والرفق والمحبة بلا رئاء » حتى كان الوثنيون يعجبون منهم ويقولون : انظروا كيف يحبّون بعضهم . فكيف لا نهتزّ

طرباً لما كان عليهِ اولئك المسيحيون ابطال كنيستنا الانطاكيَّة. وكيف لا نفتني اثارهم اذ الحقُّ يقال:

الابن يَنشأ على ما كان والده ان النصون عليها ينبتُ الشجرُ

فبعد ان رمقنا الى اصل كنيستنا وما طرأ عليها من التغيير والاحداث ورأينا ما كانت عليهِ قبل ميلادها وما صارت اليهِ بعد عمادها لنعد بالفكر الى اورشليم فكأني بها شيخة هرمة فبعد ان تقدَّمت في ايامها ولم تستطع الى الولادة سبيلاً هجرت بنيها والقتهم من على ذراعيها فاختار الله للشرق اماً في ريعان شبابها ألا وهي كنيسة انطاكية فغدت كالمحور عليها تدور الكنائس الشرقيَّة وكأن القديس بولس والرسل العظام يخرجون منها كأنهر عدن يحملون الخصب والنماء في كل ارض يطأونها. فهناك سُمي المؤمنون لاول مرة مسيحيين (اعمال ١١: ٢٦) ولربما دعوا كاثوليكيين لأول مرة فيها ايضاً لان القديس اغناطيوس الشهيد الانطاكي هو الذي ذكر ذاك الاسم قبل غيرهِ في كتابهِ الى اهل ازمير

فهنيئاً لكِ يا كنيسة انطاكيـة هنيئاً لكِ يا مدينة المرسلين والمبشرين مدينة الشهداء والآباء القديسين وقد مرَّ عليكِ عشرون جيلاً وانتِ تحملين في احشائكِ الابرار والقديسين وقد قدَّمت للعلي في عصرنا الحاضر شهداء الاضطهادات والآن هم بالقرب من الحمل الطاهر يرفعون احزانكِ الى المولى حتى تعود اليكِ مفاخركِ الاولى وتصبحي قرَّة العين امام الرب العظيم. وهـا ان ابناكِ ينظرون اليكِ بعين الحنو والانعطاف. ارتفعي الى دار السماء والى ارض النعيم. هناك الافراح هناك المسرَّات

اثر مدفن سوري قديم

للاب سبتيان روتر فال اليسوعي

ترى هنا صورة اثر قديم وجد منذ عهد قريب في سوريَّة في مكان لم يشأ صاحبهُ بتعريفهِ. واظنهِ بأن للاثر المذكور قدراً عظيماً فيحصل ببيعهِ على مبلـغ وافر غُني بتصويرهِ في معلَّقة زحلة واخذ منهُ عدَّة صور عرضهـا على محبي الآثار لعلَّهم يشترونهُ بثمن بالغ. وقد انتشرت هذه الصور فأتاني كثيرون من الادباء في هذه المدَّة الاخيرة ليستعلموا عن قدم الاثر ومعناه وقد سمح لي واحد منهم بان انشر الصورة في المشرق